المُقَدِّمَة

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُه، ونستعينُه، وَنَسْتَهْدِيهِ، ونستغفرُهُ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، ونعوذُ بِاللهِ مِن شُرُورِ أنفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أعْمَالِنا، مَنْ يَهْدِه الله فَلا مُضِلَّ لَهُ، ومن يُضْلِلْ فَلا هَادِي لَهُ، وأَشْهَدُ أنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبْدُه ورَسُولُه، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وأصْحَابِهِ، وسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

أمَّا بعد:

فإنَّ الله–Y– قد أقام هذا الدينَ وأعزّه ونصره على أيدي رِجالٍ وفّقهم وسخَّرهم لرفعِ رايته، والدفاعِ عنه، والتضحيةِ في سبيله بالغالي والنفيس، وفي مقدِّمةِ هؤلاءِ وعلى رأسِهم المهاجرون الذين تركوا بلادهم وأهليهم وأموالهم يبتغون الثواب والأجر والرضوان من الله –سبحانه– وينصرون هذا الدين ويذودون عنه.

والأنصار الذين نصروا رسول الله–ρ– وآووا إخوانهم المهاجرين، وجسّدوا أروع الصور في الأخوَّة الحقيقية التي وصلت إلى أن يتنازل الأخ عن أنفس وأغلى ما يملك ويؤثر به أخاه على نفسه .

لقد كان لتلك المؤاخاة التي عقدها النبي –ρ– بين المهاجرين والأنصار الأثر الأكبر في انطلاق الدولة الإسلامية على أساسٍ متينٍ ، ودعامةٍ قويّةٍ ، آتت أكلها في النصر والتمكين للإسلام وأهله ، وبعد أن ضرب أولئك الأفذاذ أروع الأمثلة في الأخوة والإيثار ، والتضحية والفداء ، واستحقوا ثناءَ الله–Y– عليهم ، وإشادةَ القرآن بهم في عدّة آياتٍ، منها ما جاء في سورة الحشرِ ، حيث قال–عز من قائل:

{لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ*وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ

خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر:8-9]

ورغم تميّز هذين الفريقين بما قدّماه للإسلام من أعمالٍ يعجز أن يأتي بمثلها غيرهم، إلاَّ أنَّ الثناء شمل فريقاً ثالثاً متعلّقاً بهذين الفريقين ؛ ألا وهم الذين ساروا على ما كان عليه المهاجرون والأنصار مقتفين آثارهم ، متّبعين منهجهم، مقتدين بهم ؛ ولذلك استحقوا أن يلحقوا بهم عند الثناء عليهم في الآية السابقة ، حيث قال الله-Y- فيهم: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [الحشر:10]

ونظراً لما تضمنته الآيات السابقة من سورة الحشر من أصنافٍ فذّةٍ ، ومناقب جمّةٍ لأولئك العظماء، قمت بجمع تلك الصفات والفضائل في بحث أسميته:

((**المهاجرون والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان كما تصفهم سورة الحشر**))

– أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في عدّة أمور، منها:

1- تعريف وتذكير المسلمين بفضائل سلفهم من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان.

2- إبراز تلك المآثر والمناقب التي خلّدها القرآن الكريم.

3- تحفيز المسلمين إلى التأسي بهم والسير على خطاهم.

4- بيان أنَّ المنهج الصحيح للتمسك بالإسلام هو منهج السلف الصالح من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين.

5- خطورة الحياد عن منهج الصحابة من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان.

6- بيان الضلال المبين لبعض الفرق التي تقع في أولئك الصحابة الأجلاء-

رضوان الله عليهم أجمعين-.

7- وضوح قصورنا في خدمة هذا الدين مقارنة بما بذله أولئك العظماء.

منهج البحث:

1- عزو الآيات إلى سورها.

2- أفسِّر الآيات تفسيراً إجمالياً حتى يتبيَّن معناها من السياق.

3- إذا كان الحديث متفقاً على صحته فإنِّي أخرِّجه من الصحيحين؛ صحيح البخاري وصحيح مسلم، وأكتفي بذلك، وإن لم يتفق عليه الشيخان فإنِّي أخرِّجه من كتب السنة الأخرى وغيرها، وأبيِّن درجته إن لم يخرّجه أحد الشيخين.

4- أعزو أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمّة إلى مظانِّها من كتب الحديث والتفسير وغيرها

5- أعزو أقوال المؤلِّفين في التفسير وغيره إلى كتبهم إذا كانت موجودة، وإلاَّ ذكرت المصدر الذي ينقل عن تلك الكتب.

6- أقوم -قدر الإمكان- بالربط بين المباحث والمطالب وبيان مناسبتها لبعضها.

7- أبيِّن الكلمات الغريبة من مظانِّها من كتب الغريب والمعاجم اللغوية.

- خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدّمة ، وتمهيد ، وثلاثة مباحث ، وخاتمة ، وفهارس.

على النحو التالي:

المقدّمة: وتشتمل على أهمية البحث ومنهجه وخطته.

التمهيد: ويشتمل على:

أوَّلاً: التعريف بالمهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان.

ثانيا: الآيات القرآنية التي فيها ذكر المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان في القرآن العظيم.

- المبحث الأوَّل: أوصاف المهاجرين.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأوَّل : أنَّهم فقراء:

المطلب الثاني : أنَّهم مهاجرون.

المطلب الثالث : أنَّهم أخرجوا من ديارهم وأموالهم.

المطلب الرابع : أنَّهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً.

المطلب الخامس: أنَّهم ينصرون الله ورسوله.

المطلب السادس: أنَّهم صادقون.

- المبحث الثاني : أوصاف الأنصار.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأوَّل : أنَّهم تبوءوا الدار.

المطلب الثاني : أنَّهم تبوءوا الإيمان.

المطلب الثالث: أنَّهم يحبون من هاجر إليهم.

المطلب الرابع : أنَّهم لا يجدون في صدروهم حاجة مما أوتوا.

المطلب الخامس : أنَّهم يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

المطلب السادس: وصفهم بالفلاح .

- المبحث الثالث : أوصاف التابعين بإحسان.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأوَّل: سؤالُهم اللهَ المغفرةَ لهم ولإخوانهم المؤمنين.

المطلب الثاني: سؤالُهم اللهَ سلامةَ صدورهم تجاه إخوانهم المؤمنين.

المطلب الثالث: وجوب حبّ المؤمنين وتحريم سبّهم وبغضهم وعلى رأسهم الصحابة الكرام من المهاجرين والأنصار.

– الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

– الفهارس.

هذا والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه –سبحانه–، وأن ينفع به، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

د. خالد بن عون العنزي

جامعة طيبة

التمهيد

أوَّلاً: التعريف بالمهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان

1- المهاجرون :

المهاجرون: هم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة فراراً بدينهم، تاركين الأهل والولد والدور والمال، مجرَّدين من كلِّ شيء إلاَّ الإيمان، ومنهم من اصطحب معه زوجه وولده، ومنهم من تركهم، وقد عاني المهاجرون في مبدأ قدومهم شدةً ومرضاً وغربةً ووحشةً، ولكنهم لم يلبثوا -بفضل إخوانهم الأنصار- أن اعتادوا على المدينة واندمجوا في المجتمع الجديد، وصارت المدينة وطناً لهم، وأبدلهم الله بالأهل أهلاً، وبالمال مالاً.

وكانت الهجرة قبل فتح مكة واجبةً وفرضاً على المسلمين من أهل مكة؛ لنصرة النبي -ρ- ومواساته بالنفس؛ وليكون لهم في تجمعهم في مكان واحدٍ كيان وقوة؛ ولذلك أنحى الله باللائمة والتوبيخ على من استطاع الهجرة ولم يهاجر، ولم يعذر إلاَّ المستضعفين الذين ليست لهم قدرة عليها، فقال -سبحانه-: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا*إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً* فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا} [النساء:97-99].

وأما بعد الفتح فلم تعد الهجرة واجبة، ففي الحديث المتفق عليه: (لا هجرة بعد

الفتح، ولكن جهاد ونية)[1]، ومع هذا فقد أبى الله ورسوله إلاَّ أن تكون المدينة هي الوطن للمهاجرين، فحرّم رسوله الله –ρ– على من هاجر قبل الفتح أن يستوطن مكة بعد الفتح، وأباح لمن قصدها لحجٍ أو لعمرةٍ أن يقيم بها بعد أداء النُّسكِ ثلاثاً لا يزيد عليها، حيث قال رسول الله –ρ–: ((يقيم المهاجر بمكة بعد قضاء نسكه بمكة ثلاثاً))[2]؛ ولذلك رثى النبي–ρ– لسعد بن خَوْلةَ[3] أن مات بمكة كما رواه البخاري في صحيحه.[4]

والحكمة في تحريم الإقامة للمهاجرين بمكة بعد الفتح خشية أن يعتبر هذا رجوعاً في هجرتهم؛ لأنَّهم تركوا ديارهم وأهليهم وأموالهم لله، في سبيل نصرة رسول الله، فأراد الله –سبحانه– أن يستمر تركهم لها ابتغاء مرضاته؛ وليكون شاهد صدق على قوة

(1) أخرجه البخاري في صحيحه: (1025/3) رقم: (2631)، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير، وفي: (1416/3)، رقم: (3686)، كتاب فضل الصحابة، باب هجرة النبي –ρ– وأصحابه، إلى المدينة، ومسلم في صحيحه: (1488/3)، رقم: (1864)، كتاب الإمارة، باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه: (985/2)، رقم: (1352)، كتاب الحج، باب جواز الإقامة بمكة للمهاجرين منها بعد فراغ الحج والعمرة ثلاثة أيام بلا زيادة.

(3) سعد بن خَوْلة القرشي العامري ، فارسي من اليمن حالف بني عامر ، مات بمكة عام حجة الوداع.
الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر: (45/3).

(4) أخرجه البخاري في صحيحه: (1431/3)، رقم: (3721)، كتاب الجهاد والسير، باب قوله النبي –ρ–: (اللهم امض لأصحابي هجرتهم ...)، ومسلم في صحيحه: (1251/3)، رقم: (1628)، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث.

إخلاصهم، وعظمة نفوسهم، وسموا أخلاقهم، وليكونوا قدوة حسنة لمن يجيء بعدهم، وأنَّ من ترك شيئاً لله لا ينبغي أن يرجع إليه.[1]

2- الأنصار:

هم أولئك الذين استجابوا إلى الإسلام من أهل المدينة من الأوس والخزرج في بيعة العقبة الأولى والثانية، وقد كان يساكنهم بالمدينة ثلاث قبائل من اليهود، هم: بنو قريظة، وبنو قينقاع، وبنو النضير، نزحوا إليها من الشام مشرّدين مضطهدين، وكان بينهم وبين اليهود وقائع وحروب، فكانوا إذا انتصفوا من اليهود وأذلّوهم قالوا لهم: لقد قرب عهد نبي يبعث من العرب، وسننضوي تحت لوائه، ونقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما دعا النبي-ρ- أهل المدينة في موسم الحجّ، قالوا فيما بينهم: هذا هو الذي بشَّرت به يهود، فلا يسبقنّكم إليه، فكان هذا من أسباب كرامة الله لهم بالمسارعة إلى الإسلام ، ونشره بالمدينة قبل هجرة النبي -ρ-.

وقد كانت بين الأوس والخزرج في الجاهلية حروبٌ وأيامٌ مشهودة كيوم بعاث؛ ولذلك لما عرض النبي -ρ- عليهم الإسلام، قالوا: إنَّا تركنا قومناً وبينهم ما بينهم من العداوة والبغضاء، فإن يجمعهم الله بك فلن يكون أحدٌ أعزَّ منك في العرب.

وقد حقّق الله الرجاء، فقد صاروا بعد أن أنعم الله عليهم بالإسلام إخواناً متحابِّين متآلفين، وكان للإسلام من هذا الغنم والخير الكثير.[2]

ووجه تسميتهم بالأنصار: لأنَّهم ناصروا رسول الله -ρ- ومن معه.

واسم الأنصار-وكذلك المهاجرين- تسمية شرعية، قال غيلان بن جرير: قلت

---

(1) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (39/1).

(2) السيرة النبوية لأبي شهبة (41/1).

لأنس: أرأيت اسم الأنصار كنتم تسمّون به أم سمّاكم الله؟ قال: (بل سمّانا الله).[1]

قال الله -تعالى-: {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة:100]

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:

لما استقر المسلمون بالمدينة ألهم الله-سبحانه- نبيه محمداً-ρ- بعمل يعتبر غاية في حسن السياسة، وأصالة الرأي، وبعد النظر، فقد عقد بين المهاجرين والأنصار أخوّةً بها يتعاونون ويترافقون، ويتناصرون ويتوارثون.

قال ابن القيم: ثم آخى رسول الله-ρ- بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك، وكانوا تسعين رجلاً، نصفهم من المهاجرين ونصفهم من الأنصار، آخى بينهم على المواساة، ويتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام إلى حين وقعة بدر، فلما أنزل الله -Y-: {وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ } [الأنفال:75] رد التوارث، دون عقد الأخوّة.[2]

وقد كان لهذه الأخوة آثارها البعيدة في الحب والتعاون والتناصر، وقاموا بحقوقها خير قيام، وستأتي في ثنايا البحث -إن شاء الله- أمثلةٌ مشرقةٌ رائعةٌ يتجلّى فيها الحبّ والأخوّة والإيثار في أسمى صوره وأبهج معانيه.

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه: (1376/3)، رقم: (3563)، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الأنصار.

(2) زاد المعاد: (56/2).

3– التابعون بإحسان:

هم الذين جاءوا بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة، واتبعوهم في الإيمان والعقيدة، وساروا على آثارهم الحسنة، وأوصافهم الجميلة، ودعوا لهم في السر والعلانية.(1)

ثانيا: المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان في القرآن الكريم

فيما يلي بيان بالمواضع التي ورد فيها ذكر المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان في القرآن الكريم.

– المهاجرون هم الراجون رحمة الله المستحقون لها مع مغفرته.

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [البقرة:218]

– مكافأة الله –جل وعلا– للمهاجرين بتكفير السيئات وإدخالهم الجنات وحسن الثواب.

{فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ} [آل عمران: 195].

– المهاجرون والأنصار بعضهم أولياء بعض.

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (363/4)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (96/13)، وتفسير السعدي (851/1).

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الأنفال:72]

– ثناء الله –I– على المهاجرين والأنصار بأنَّهم هم المؤمنون حقّاً، وإكرامُه لهم بالمغفرة، والرزق الكريم في الجنة، وإلحاقُ التابعين لهم بإحسان بهم.

{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الأنفال: 74-75].

– عِظَمُ درجة المهاجرين ، وعلوُّ مكانتهم على غيرهم من المؤمنين.

{الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} [التوبة:20]

– الفوز العظيم للمهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان برضى الله – تعالى– عنهم ورضاهم عنه، وما أعد لهم من الجنات والنعيم المقيم.

{وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة:100]

– لطف الله –سبحانه– بالمهاجرين والأنصار وتوبتُه عليه، وغفرانُه زلاَّتهم.

{لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة:117].

– ثواب الله –جل وعلا– للمهاجرين فراراً بدينهم بالثواب الدنيوي، والثواب الأخروي الأعظم.

{وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [النحل:41].

– مغفرة الله ورحمته للمهاجرين الذين تركوا أوطانهم وأموالهم وصبروا وجاهدوا في سبيل الله.

{ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} [النحل:110].

– بشارة الله –Y– للمهاجر بأنَّ أجره على الله سواء مات على فراشه، أو قتل مجاهداً، وبدخوله الجنة في الآخرة.

{وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} [الحج:58].

– أوصاف المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان:

{ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ*وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ *وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [الحشر:8-10].

المبحث الأوَّل

صفات المهاجرين

وصف الله المهاجرين بعدة أوصاف في قوله سبحانه: { لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} [الحشر:8].

وقد تضمنت هذه الآية الكريمة ستة أو صاف للمهاجرين هي:

1- الصفة الأولى : أنَّهم فقراء.
2- الصفة الثانية : أنَّهم مهاجرون.
3- الصفة الثالثة : أنَّهم أخرجوا من ديارهم وأموالهم.
4- الصفة الرابعة : أنَّهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً.
5- الصفة الخامسة : أنَّهم ينصرون الله ورسوله.
6- الصفة السادسة: أنَّهم صادقون.

المطلب الأوَّل: أنَّهم فقراء

والفقراء: جمع فقير، وهو من لا مال له ولا كسب يكفيه ويسدُّ حاجته، فليس له زوجٌ ولا أصلٌ ولا فرعٌ يكفيه نفقته، ولا يحقّق كفايته مطعماً وملبساً ومسكناً .

وذهب كثيرٌ من الفقهاء إلى أنَّ الفقير أشدُّ حاجةً من المسكين؛ لأنَّ الله بدأ به في آية مصارف الزكاة، حيث قال تعالى: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } [التوبة:60].

وذهب بعض أهل العلم إلى غير ذلك، وهو أنَّ الفقير أسوأ حالاً من المسكين، وكلاهما

يجمعهما الحاجة والفاقة وعدم الغنى.[1]

والمقصود بالفقراء هنا فقراء المهاجرين الذين اضطرهم كفار مكة إلى الخروج من ديارهم وترك أموالهم، طلباً لمرضاة الله، ونيلاً لثوابه، ونصرةً الله ورسوله، وإعلاءً لشأن دينه.

ومن أجل ذلك ذكر بعض المفسرين أنَّ هذه الآية بدلٌ من قوله تعالى: {لِذِي الْقُرْبَى} في الآية التي قبلها: {مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[الحشر:7].[2]

قال قتادة :"هؤلاء المهاجرون تركوا الديار والأموال والأهلين والعشائر، خرجوا حباً لله ولرسوله، واختاروا الإسلام على ما فيه من الشدة، حتى لقد ذكر لنا أنَّ الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع، وكان الرجل يتخذ الحفيرة[3] في الشتاء ما له دثار غيرها".[4]

ولما كان المهاجرون –رضوان الله عليهم– بهذه المكانة السامقة والمنزلة العالية ، لما قاموا به من أعمال جليلة وما اتصفوا به من خصالٍ حميدةٍ ، كوفئوا في الدار الآخرة بمكافآتٍ عظيمةٍ ميّزتهم عن غيرهم وقدَّمتهم على من سواهم ، وجعلت لهم السبق

(1) للتوسع في هذه المسألة انظر: المغني لابن قدامة (306/9)، والفقه الإسلامي وأدلّته للزحيلي (869/2)، والمال في القرآن الكريم للحصين ص: 320.

(2) انظر: الكشاف للزمخشري (305/4)، وتفسير الرازي (249/29).

(3) الحفيرة: الحفرة في الأرض، والحفر: اسم المكان الذي حفر كخندق أو بئرٍ. انظر: العين للخليل بن أحمد (212/3)، لسان العرب (204/4)، المصباح المنير (142/1).

(4) رواه الطبري في تفسيره (40/28)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (105/8)، ونسبه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

على الآخرين ، ومن ذلك ما رواه عبد الله بن عمرو –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا– قال: قال رسول الله –ρ–: ((أوّل من يدخل الجنة من خلق الله فقراء المهاجرين، الذين تسدّ بهم الثغور، وتتّقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاءً، فيقول الله –Y– لمن يشاء من ملائكته: ائتوهم فحيوهم، فتقول الملائكة: ربنا نحن سكان سمائك، وخيرتك من خلقك، أفتأمرنا أن نأتي هؤلاء فنسلم عليهم؟ قال: إنَّ هؤلاء عبادي كانوا يعبدونني ولا يشركون بي شيئاً، وتسدّ بهم الثغور، وتتّقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاءً، فتأتيهم الملائكة عند ذلك، فيدخلون عليهم من كل باب {سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} [الرعد:24])).[1]

وفي حديث ثوبان مولى رسول الله ρ الطويل أنَّ الحبر اليهودي سأل النبي ρ أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال رسول الله –ρ: ((هم في الظلمة دون الجسر))، قال: فمن أوَّل الناس إجازة؟ قال: ((فقراء المهاجرين))، قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: ((زيادة كبد النون))، قال: فما غداؤهم على أثرها؟ قال : ((ينحر لهم ثور الجنة الذي يأكل من أطرافها))، قال: فما شرابهم عليه؟ قال : ((من عين تسمى سلسبيلاً)).[2]

(1) أخرجه أحمد في المسند (177/2) رقم: (6650)، والبيهقي في شعب الإيمان (300/7)، رقم: (10380)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (259/10) ونسبه لأحمد والبزار والطبراني ، قال: "ورجالهم ثقات"، وبنحوه قال المنذري في الترغيب والترهيب (62/4) رقم: (4812).

(2) أخرجه مسلم في صحيحه : (252/1)، رقم: (315)، كتاب الحيض، باب بيان صفة مني الرجل والمرأة....

ومن تلك الفضائل العظيمة ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قال: سمعت رسول الله -ρ- يقول: ((إنَّ فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفاً)).[1]

المطلب الثاني: أنَّهم مهاجرون

وصفهم الله -تعالى- بالهجرة وقد سبق بيان معناها في تمهيد البحث، وهؤلاء إنَّما هاجروا رغبةً في الدين ونصرةً له.

والهجرة لها مكانة عظيمة في الإسلام، فهي فرار إلى الله، والفرار إلى الله انتصار على المادة بكل متطلباتها ومغرياتها، قال تعالى: {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} [الحج:58].

إنَّ المتأمِّل في قصة الهجرة يدرك أنَّها كانت التماساً للتربة الخصبة التي تثمر فيها الدعوة، وتؤتي أكلها، وتستوي على سوقها حتى يقوى ساعدها، ويشتد أزرها، ويكون ذلك منطلقاً لفتحٍ عظيمٍ يفتح الله به للإسلام قلوب الناس وديارهم، وقد كان ذلك حيث كانت هذه الهجرة سبباً في إنقاذ الناس من ظلمتهم، وإنقاذهم من

(1) أخرجه مسلم في صحيحه : (2285/4)، رقم: (2979)، كتاب الزهد والرقائق،، وابن حبان في صحيحه (452/2)، رقم: (677)، والنسائي في السنن الكبرى (443/3)، رقم: (5476)، كتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان، باب كيف الجلوس عند العالم، والدارمي في المسند (437/2)، رقم: (2844)، وأحمد في المسند (169/2)، رقم: (6578).

وهدتهم وحيرتهم، حتى تأسست بهم دولة الإسلام.[1]

المطلب الثالث: أنَّهم أخرجوا من ديارهم وأموالهم

وهذه هي الصفة الثالثة لهؤلاء الخلّص، وهي صفةٌ عظيمةٌ لا يفعلها إلاَّ هؤلاء العظماء، حيث تركوا أوطانهم وأموالهم، وتكبدوا العناء والغربة حباً لله ورسوله، ونصرةً لدينه، بعد أن اضطرهم كفار مكة إلى الخروج، وأحوجهم الأذى والاضطهاد والتنكر من قرابتهم وعشيرتهم إلى ترك ديارهم العزيزة على نفوسهم، المحببة إلى قلوبهم، التي ألفوها وولدوا ونشأوا بين أوديتها، تركوها وتركوا فيها أموالهم، والمال –كما يقال– شقيق الروح، وما فعلو ذلك إلاَّ طلباً لمرضاة الله، ونيلاً لثوابه، ونصرةً لله ورسوله، وإعلاءً لشأن دينه.[2]

قال ابن عطية: "وصفهم الله تعالى بالصفة التي تقتضي فقرهم، وتوجب الإشفاق عليهم، وهي إخراجهم من ديارهم وأموالهم".[3]

روي أنَّ عمر بن الخطاب –τ– خطب بالجابية[4] فقال: "من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبي بن كعب، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت،

(1) انظر: الهجرة في القرآن الكريم (ص57، 525).

(2) انظر: تفسير أبي السعود (228/8)، والألوسي (51/28)، وفي ظلال القرآن (165/7)، وحدائق الروح والريحان لمحمد الأمين الهرري (114/29).

(3) المحرر الوجيز (287/5).

(4) الجابية: ناحية من نواحي دمشق، وإليها ينسب باب الجابية أحد أبواب دمشق . تهذيب الأسماء واللغات للنووي (56/3).

ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني، فإنَّ الله تعالى جعلني له خازناً وقاسماً، ألا وإنِّي باد بأزواج النبي –ρ– فمعطيهنَّ، ثم المهاجرين الأولين، أنا وأصحابي، أخرجنا من مكة من ديارنا وأموالنا.[1]

المطلب الرابع: أنَّهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً

فهؤلاء المهاجرون عندما تركوا أموالهم وأوطانهم وأهليهم وهاجروا لم يهاجروا لدنيا يصيبونها، بل فعلوا ذلك وضحوّا بكل ما سبق طلباً لرضا مولاهم، ونصرةً لدينهم، هذا هو هدفهم، وذلك هو مقصدهم .

قال الرازي :"المراد بالفضل ثواب الجنة، وبالرضوان قوله : {وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ} [التوبة: 72]"[2].

وذكر بعض المفسرين أنَّ المراد بالفضل في الآية: الرزق .

قال الألوسي–مبينا معنى الآية– :"أي طالبين منه تعالى رزقاً في الدنيا ومرضاةً في الآخرة، وصفوا أولاً بما دلَّ على استحقاقهم للفيء من الإخراج من الديار والأموال، وقيّد ذلك ثانياً بما يوجب تفخيم شأنهم ويؤكده مما يدلّ على توكلهم التام ورضاهم بما قدره المليك العلام".[3]

ولا شك أنَّ الفضل الذي طلبه هؤلاء المهاجرون هو رضا الله، وأجره وثوابه؛ ولذلك وصفوا بالفقر، وعاش أكثرهم بعد الهجرة فقراء، حتى إنَّ أهل الصفة الذين كانوا فقراء كانوا من المهاجرين.

---

(1) تفسير القرطبي (20/18).

(2) تفسير الرازي (249/29). وانظر: المحرر الوجيز لابن عطية (286/5).

(3) روح المعاني (51/28). وانظر: تفسير أبي السعود (228/8).

وعلى أي حالٍ ما جاءهم من رزقٍ وفضلٍ دنيويٍ فهو ليس بقادحٍ في نياتهم ومقاصدهم.

قال البقاعي :"ولما كان غلب الدنيا من النقائص، بين أنَّه إذا كان من الله لم يكن كذلك، وأنَّه لا يكون قادحاً في الإخلاص ... يوفقهم لما يرضيه عنهم ولا يجعل رغبتهم في العوض منه قادحاً في الإخلاص فيوصلهم إلى دار كرامته".[1]

المطلب الخامس: أنَّهم ينصرون الله ورسوله

وكانت هذه النصرة غايةً سعوا إليها، زهقت من أجلها أرواحهم، وتمزّقت أجسادهم، وحفيت أقدامهم، انتصاراً لهذا الدين، وذوداً عنه، حتى أقرَّ الله أعينهم بنصرته وعلوه، واندحار أعدائه وهزيمتهم.

قال البقاعي :"ولما وصفهم بتعليق بواطنهم به –سبحانه–، وقطعها بالرضا بالإخراج عمَّن أو عمَّا سواها، وصفهم ببذل ظواهرهم له فقال : {وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ }".[2]

وقال ابن جرير :"ينصرون دين الله الذي بعث به رسوله محمداً –ρ–".[3]

وقال ابن عطية :"نصر الله تعالى هو نصر شرعه ونبيه".[4]

ولقد تحقّقت هذه النصرة من أولئك الأبطال، فبذلوا مهجهم وأرواحهم في سبيل

(1) نظم الدرر (441/8).

(2) نظم الدرر (441/8).

(3) تفسير الطبري (40/28).

(4) المحرّر الوجيز (287/5).

الله، نصرةً لدين الله، وذوداً عن نبي الله –ρ– وسجّل لنا التاريخ –في ذلك– بطولاتٍ رائعةٍ، وملاحم عظيمةٍ، تصغر بجانبها كلّ بطولات العالم وملاحمه، إنَّها صورٌ عجيبةٌ لأقوامٍ وضعوا أرواحهم على أكفّهم، ولم يكن لهم همٌّ إلاَّ العمل لهذا الدين مهما كانت التضحيات، ولم تقتصر نصرتهم على بذل الأنفس والأرواح في سبيل هذا الدين، ولكنهم قدموا –مع ذلك– أموالهم العزيزة، وممتلكاتهم النفيسة، دعماً لهذا الدين، ونصرةً له، كلٌّ حسب وسعه وطاقته، حتى بلغ ببعضهم أن قدَّم ماله كلّه، وآخر جهّز جيشاً بأكمله.

والناظر في كتب السيرة والتاريخ يقف على تلك المواقف الرائعة مما يضيق المقام هنا عن ذكره، ولكنه يدرك حقّاً أنَّهم قومٌ سخّرهم الباري –جلّ وعلا– لهذه المهمة العظيمة نصرة لدينه، وتشريفاً لهم.

المطلب السادس:الصدق

ختم الله–Y– أوصاف أولئك القوم العظماء بصفةٍ عظيمةٍ تليق بعظمتهم فقال–عز من قائل–: {أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} [الحشر:8]

صادقون في إيمانهم وأقوالهم وأفعالهم، كاملون في هذا الصدق، وراسخون فيه .

ولقد تمثّل هذا الصدق في صور ومواقف من أقربها تضحيتهم بأموالهم ، وتركهم لأهليهم وأوطانهم، ثمّ حدّث ولا حرج عن مواقف الصدق التي بعد ذلك من نصرة هذا الدين، والذود عن حِياضه، والدفاع عن رسول الله –ρ– بما يستحقون به أن يوصفوا بالصدق الذي يكاد أن ينحصر فيهم –رضوان الله عليهم أجمعين–.

قال ابن عاشور :"واسم الإشارة لتعظيم شأنهم وللتنبيه على أنَّ استحقاقهم وصف الصادقين لأجل ما سبق اسمَ الإشارة مِن الصفات؛ وهي أنَّهم أخرجوا من ديارهم وأموالهم، وابتغاؤهم فضلاً من الله ورضواناً، ونصرهم الله ورسوله، فإنَّ الأعمال

الخالصة فيما عملت لأجله يَشهد للإخلاص فيها ما يلحق عاملها من مشاقّ وأذى وإضرار، فيستطيع أن يخلص منها لو ترك ما عمله لأجلها أو قصر فيه، وجملة {هُمُ الصَّادِقُونَ} مفيدة القصر لأجل ضمير الفصل وهو قصر ادعائي للمبالغة في وصفهم بالصدق الكامل، كأنَّ صدق غيرهم ليس صدقاً في جانب صدقهم".[1]

وقال الألوسي : "أي الكاملون في الصدق في دعواهم الإيمان، حيث فعلوا ما يدلّ أقوى دلالة عليه، مع إخراجهم من أوطانهم وأموالهم لأجله، لا غيرهم ممن آمن في مكة ولم يخرج من داره وماله، ولم يثبت منه نحو ما ثبت منهم".[2]

وقال البقاعي :"{أُولَئِكَ} أي العالوا الرتبة في الأخلاق الفاضلة، {هُمُ} أي خاصة لا غيرهم، {الصَّادِقُونَ} العريقون في هذا الوصف؛ لأنَّ مهاجرتهم لما ذكر وتركهم لما وصف دلّ على كمال صدقهم فيما ادعوه من الإيمان بالله ورسوله-ρ-، حيث نابذوا من عاداهما وهو القريب الصافي نسباً وداراً، ووالوا أولياءهما من كانوا وإن بعدت دارهم وشط مزارهم".[3]

فائدة:

يقول أبو بكر بن عياش:"أبو بكر الصديق خليفة رسول الله -ρ- في نصّ القرآن؛ لأنَّ الله -تعالى- يقول: {لِلْفُقَرَاءِ ... الصَّادِقُونَ} فمن سمَّاه الله صادقاً فليس يكذب، هم قالوا: يا خليفة رسول الله -ρ-".[4]

---

(1) التحرير والتنوير (495/14).

(2) روح المعاني (51/28).

(3) نظم الدرر (442/8).

(4) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (440/8) ، وفي تاريخ الإسلام (497/13). وانظر:

تفسير الإمام الذهبي (815/2)، للدكتور سعود الفنيسان .

المبحث الثاني

أوصاف الأنصار

لما وصف الله –Y– المهاجرين بتلك المزايا السامية، والمناقب العالية التي سبق ذكرها في المبحث السابق، أعقب ذلك بذكر نظرائهم في الفضل، وأمثالهم في الصدق، ألا وهم أولئك القوم الذين تجلّت فيهم نصرة الله، ونصرة رسوله –ρ– حتى أصبحت هذه النصرة وصفاً ملازماً لهم، وتاجاً يفتخرون به، بل إنَّ هذه النصرة صارت شعاراً لهم، ومسمّى يتسمّون به حتى أصبحوا يعرفون بالأنصار بدل الأوس والخزرج.

لقد استحق هؤلاء الصفوة ذلك الوسام النبوي الذي منحه لهم رسول الله –ρ– عندما قال: ((لو سلك الناس وادياً أو شِعباً، وسلكت الأنصار وادياً أو شِعباً، لسلكت وادي الأنصار، أو شِعب الأنصار)).[1]

ونال هؤلاء الأخيار بسبب فضلهم دعوة من لدن محمد –ρ– شملت أبناءهم وأبناء أبنائهم عندماقال : ((اللهم اغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار، ولأبناء أبناء الأنصار)).[2]

---

(1) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: (1575/4)، رقم: (4077، 4078، 4079)، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، ومسلم في صحيحه (735/2)، رقم: (1059)، كتاب الزكاة ، باب إعطاء المؤلَّفةِ قلوبهم.

(2) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: (1872/4)، رقم: (4623)، كتاب التفسير، باب قوله: (هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله...) الآية، ومسلم في صحيحه (1948/4)، رقم: (2506)، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الأنصار

قال –تعالى– في وصف هؤلاء الصفوة :{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر:9].

قال السمعاني :"أجمع أهل التفسير على أنَّ المراد بهم الأنصار".[1]

وقد وصفهم الله –جلّ وعلا– في الآية السابقة من سورة الحشر بستة أوصافٍ:

1– الأولى: أنَّهم تبوءوا الدار

2– الثانية: أنَّهم تبوءوا الإيمان.

3– الثالثة : أنَّهم يحبون من هاجر إليهم.

4– الرابعة: أنَّهم لا يجدون في صدورهم حاجةً مما أوتوا.

5– الخامسة: أنَّهم يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

6– السادسةً : وصفهم بالفلاح .

إنَّها صفات مثلى، وأوصاف عظمى، استحقوا بها الإشادة إلى يوم الدين .

قال سيد قطب :"...هذه صورةٌ وضيئةٌ صادقةٌ تبرز أهم الملامح المميزة للأنصار، هذه المجموعة التي تفردت بصفاتٍ، وبلغت إلى آفاق، لولا أنَّها وقعت بالفعل، لحسبها الناس أحلاماً طائرةً، ورؤى مجنّحةً، ومُثلاً عليا قد صاغها خيالٌ محلقٌ".[2]

رضي الله تعالى عنهم.

(1) تفسير السمعاني (400/5).

(2) في ظلال القرآن (3526/6).

المطلب الأوَّل: أنَّهم تبوّءوا الدار

والتبوؤ: النُّزول في المكان، ومنه المباءة للمنزل.[1]

قال ابن عاشور: "والتبوُّء : اتخاذ المباءة وهي البُقعة التي يَبوء إليها صاحبها، أي يرجع إليها بعد انتشاره في أعماله".[2]

والدار: هي المدينة؛ لأنَّها كانت بلدهم، والتعريف هنا للعهد؛ لأنَّ المراد بالدار: يثرب، والمعنى: الذين هم أصحاب الدار، وهذا توطئة لقوله :{يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ}.[3]

قال الألوسي :"التعريف في الدار للتنويه؛ كأنَّها الدار التي تستحق أن تسمّى داراً، وهي التي أعدَّها الله –تعالى– لهم ليكون تبوّؤهم إيّاها مدحاً لهم".[4]

وقال ابن عاشور :"وفي ذكر الدار –وهي المدينة– مع ذكر الإيمان، إيماءٌ إلى فضيلة المدينة؛ بحيث جعل تبوّءهم المدينة قرين الثناء عليهم بالإيمان، ولعلّ هذا هو الذي عناه مالك –رحمه الله– فيما رواه عنه ابن وهب قال: سمعت مالكاً يذكر فضل المدينة على غيرها من الآفاق، فقال: إنَّ المدينة تبوّأت بالإيمان والهجرة، وإنَّ غيرها من القرى افتتحت بالسيف، ثم قرأ: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ } الآية ".[5]

---

(1) انظر: لسان العرب (39/1).

(2) التحرير والتنوير (496/14).

(3) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (109/4)، والتحرير والتنوير (496/14).

(4) روح المعاني (51/28).

(5) التحرير والتنوير (496/14).

المطلب الثاني: أنَّهم تبوءوا الإيمان

وقد استشكل المفسِّرون نسبة التبوء إلى الإيمان ، وإنَّما تُتبوأُ الدار أي تُسكن ولا يُسكن الإيمان .

قال ابن عاشور :"وفي موقع قوله :{وَالإِيمَانَ} غموض؛ إذ لا يصح أن يكون مفعولاً لفعل تبوَّءوا".[1]

وقد أجاب المفسِّرون على هذا بعدّة أجوبةٍ هي:

1- جمهور المفسرين جعلوا المعطوف عاملاً مقدراً يدلّ عليه الكلام، تقديره : وأخلصوا الإيمان على نحو قول الراجز الذي لا يعرف :

..... علفتها تبناً وماءً بارداً

2- أن يجعل الكلام استعارة مكنية بتشبيه الإيمان بالمنزل وجعل إثبات التَّبَوُّءِ تخييلاً فيكون فعل تبوّءوا مستعملاً في حقيقته ومجازه .

3- وقيل: التبوّؤ مجاز مرسل عن اللزوم وهو لازمٌ معناه، فكأنَّه قيل: لزموا الدار والإيمان .

4- وقيل في توجيه ذلك : أنَّ "ال" في الدار للعهد والمراد دار الهجرة وهي تغني عن الإضافة.

5- وقيل: الواو للمعية، و{الإِيمَانَ} مفعولٌ به.

قال ابن عاشور: "وعندي أن هذا أحسن الوجوه، وإن قلّ قائلوه، وبذلك يتضح أنَّ متعلق {مِنْ قَبْلِهِمْ} فعل {تَبَوَّؤُا} بمفرده، وأنَّ المجرور المتعلق به قيدٌ فِيه دون ما ذكر بعد الواو؛ لأنَّ الواو ليست واو عطف فلذلك لا تكون قائمة مقام الفعل

(1) المصدر السابق.

السابق؛ لأنَّ واو المعية في معنى ظرف فلا يعلق بها مجرور ".[1]

6- وقيل: يجوز أن يكون تبوء الإيمانِ على طريق المثل كما تقول: تبوأ من بني فلان الصميم.[2]

وقوله : {مِنْ قَبْلِهِمْ}: يحتمل أحد وجهين : الأوَّل: أنَّ الكلام على التقديم والتأخير، والتقدير: والذين تبوءوا الدار من قبلهم والإيمان. والثاني: أنَّه على تقدير حذف المضاف، والتقدير : تبوءوا الدار والإيمان من قبل هجرتهم .[3]

قال القرطبي :"والتبوء التمكن والاستقرار، وليس يريد أنَّ الأنصار آمنوا قبل المهاجرين بل أراد آمنوا قبل هجرة النبي -ρ- إليهم".[4]

المطلب الثالث: أنَّهم يحبون من هاجر إليهم

أي من كرمهم وشرفهم أنَّهم يحبّون المهاجرين، ويواسونهم بأموالهم .[5]

قال ابن عاشور :"وجملة {يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ} حال من الذين تَبَوَّءُوا الدار، وهذا ثناء عليهم بما تقرر في نفوسهم من أخوّة الإسلام؛ إذ أحبوا المهاجرين،

(1) التحرير والتنوير (496/14).

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (21/18)، والتسهيل لعلوم التنزيل (109/4)، روح المعاني (51/28)، والتحرير والتنوير (496/14).

(3) انظر: تفسير الرازي (249/29).

(4) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (21/18)، وانظر: تفسير أبي السعود (229/8)، وفتح القدير (210/5)، وروح المعاني (52/28).

(5) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (361/4).

وشأن القبائل أن يتحرّجوا من الذين يهاجرون إلى ديارهم لمضايقتهم".[1]

عن أنس بن مالك-τ- قال: قال المهاجرون : يا رسول الله، ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليلٍ، ولا أحسن بذلاً في كثيرٍ، لقد كفونا المؤنة، وأشركونا في المهنأ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كلّه، قال: ((لا ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم)).[2]

وأخرج البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك-τ- قال: دعا النبي -ρ- الأنصار أن يقطع لهم البحرين، قالوا: لا إلاَّ أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها، قال: ((إمَّا لا، فاصبروا حتى تلقوني، فإنَّه سيصيبكم بعدي أثرة)).[3]

وبسبب حبّهم للمؤمنين كافأهم النبي -ρ- على صنيعهم هذا بأن جعل حبَّهم علامة على الإيمان وبغضهم علامة على الكفر والنفاق حيث قال عليه الصلاة والسلام: ((الأنصار لا يحبّهم إلاَّ مؤمن، ولا يبغضهم إلاَّ منافق، فمن أحبّهم أحبّه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله)).[4]

---

(1) التحرير والتنوير (91/13).

(2) أخرجه أحمد في المسند (200/3، 204)، رقم: (13097)، والترمذي في جامعه (653/4)، رقم: (2489)، كتاب صفة القيامة، باب: (44)، وأبو داود في سننه (158/5)، رقم: (4812)، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، وأبو يعلى في مسنده (415/4)، رقم: (3780)، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه: (1381/3)، رقم: (3583)، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي -ρ- للأنصار: (اصبروا حتى تلقوني على الحوض).

(4) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: (1379/3)، رقم: (3572)، كتاب فضائل الصحابة، باب حب الأنصار من الإيمان، ومسلم في صحيحه (85/1)، رقم: (75)،

قال سيد قطب :"لم يعرف تاريخ البشرية كلّه حادثاً جماعياً كحادث استقبال الأنصار للمهاجرين، بهذا الحب الكريم، وبهذا البذل السخي، وبهذه المشاركة الرضية، وبهذا التسابق إلى الإيواء، واحتمال الأعباء، حتى ليُروى أنَّه لم ينزل مهاجر في دار أنصاري إلاَّ بقرعة؛ لأنَّ عدد الراغبين في الإيواء المتزاحمين عليه أكثر من عدد المهاجرين".[1]

المطلب الرابع : أنَّهم لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا

هذه صفةٌ عظيمةٌ أخرى للأنصار يصفهم بها القرآن الكريم ليدلّ على ما وصلوا إليه من الرقي والكمال، إنَّها سلامة صدورهم تجاه إخوانهم من المهاجرين مهما أعطي أولئك المهاجرون من أعطيات، ومنحوا من هبات، وما ذلك إلاَّ برهانٌ واضحٌ على حبهم الصادق لإخوانهم والذي لم يبق بعده في نفوسهم أيّ أثرٍ لحزازةٍ أو غيظٍ أو حسدٍ.

ولذلك وصفهم الله-جل وعلا- فقال: {وَلاَ يَجِدُونَ}: أي الأنصار لا يعلمون ولا يحسون {فِي صُدُورِهِم} أي: نفوسهم {حَاجَةً} أي: حسداً وحزازةً وغيظاً {مِمَّا أُوتُوا} أي مما أعطي المهاجرون دونهم من الفيء، بل طابت نفوسهم بذلك، وما أوتوا هو فيء بني النضير كما سيأتي .

والمعنى: أنَّهم لا يخامر نفوسهم تشوّف إلى أخذ شيءٍ مما أوتيه المهاجرون من فيء بني النضير .

قال الحسن البصري-رحمه الله-: "فُضّل المهاجرون على الأنصار فلم يجدوا في

كتاب الإيمان، باب الدليل على أنَّ حبّ الأنصار وعلي -τ- من الإيمان.

(1) في ظلال القرآن (3526/6).

صدورهم حاجة قال: الحسد".[1]

قال الرازي :"وأطلق لفظ الحاجة على الحسد والغيظ والحزازة؛ لأنَّ هذه الأشياء لا تنفك عن الحاجة، فأطلق اسم اللاَّزم على الملزوم على سبيل الكناية".[2]

وقال ابن عاشور :"وكنى بانتفاء وجدان الحاجة عن انتفاء وجودها؛ لأنَّها لو كانت موجودة لأدركوها في نفوسهم".[3]

وقال الألوسي :"وحاصله أنَّ نفوسهم لم تتبع ما أعطى المهاجرون ولم تطمح إلى شيء منه تحتاج إليه".[4]

وقد ذكر القرطبي لمعنى قوله: {مِمَّا أُوتُوا} تقديرين:

1- الأوَّل: أنَّ فيه تقدير حذف مضافين، والمعنى: مسَّ حاجة من فقد ما أوتوا، وكلّ ما يجد الإنسان في صدره مما يحتاج إلى إزالته فهو حاجة.

2- الثاني: أن يكون المعنى {وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا} إذا كان قليلاً بل يقنعون به ويرضون عنه.

قال القرطبي: "وقد كانوا على هذه الحالة حين حياة النبي –ρ– دنيا، ثم كانوا عليه بعد موته –ρ– بحكم الدنيا".[5]

---

(1) ذكره السيوطي في الدر المنثور (106/8)، ونسبه إلى عبد الرزاق وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر .

(2) تفسير الرازي (250/29) .

(3) التحرير والتنوير (92/13) .

(4) روح المعاني (52/28) .

(5) الجامع لأحكام القرآن (1823).

وهناك وجه آخر لمعنى الآية ذكره ابن عاشور وهو : أن يحمل لفظ حاجة على استعماله الحقيقي اسم مصدر الاحتياج، فإنَّ الحاجة بهذا المعنى يصحّ وقوعها في الصدور؛ لأنَّها من الوجدانيات والانفعالات، ومعنى نفي وجدان الاحتياج في صدورهم أنَّهم لفرط حبهم للمهاجرين صاروا لا يخامر نفوسهم أنَّهم مفتقرون إلى شيء مما يُؤتاه المهاجرون، أي فهم أغنياء عما يؤتاه المهاجرون فلا تستشرف نفوسهم إلى شيء مما يؤتاه المهاجرون بَلْهَ أن يتطلبوه .[1]

قال ابن جرير :"قوله :{وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا} يقول جلّ ثناؤه: ولا يجد الذين تبوّءوا الدار من قبلهم، وهم الأنصار في صدورهم حاجة، يعني حسداً مما أوتوا، يعني مما أوتي المهاجرين من الفيء، وذلك لما ذُكر لنا من أنَّ رسول الله –ρ– قسم أموال بني النضير بين المهاجرين الأوّلين دون الأنصار، إلاَّ رجلين من الأنصار، أعطاهما لفقرهما، وإنَّما فُعل ذلك لرسول الله –ρ– خاصّة.

ثم روى بسنده عن عبد الله بن أَبي بكر، أنَّه حدّث أنَّ بني النضير خَلَّوا الأموال لرسول الله –ρ– فكانت النضير لرسول الله –ρ– خاصّة، يضعها حيث يشاء، فقسمها رسول الله –ρ– على المهاجرين الأوّلين دون الأنصار، إلاَّ أنَّ سهل بن حُنيف وأبا دُجانة سِماك بن خَرَشَة ذكرا فقرا، فأعطاهما رسول الله –ρ–".[2]

المطلب الخامس: أنَّهم يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصةً

والإيثار من أوصاف الأنصار التي فاقوا بها غيرهم، وتميّزوا بها على من سواهم،

(1) التحرير والتنوير (92/13).

(2) تفسير الطبري (41/28).

وهو أكمل أنواع الجود، وهو الإيثار بمحابّ النفس من الأموال وغيرها، وبذلها للغير مع الحاجة إليها، بل مع الضرورة والخصاصة، وهذا لا يكون إلاَّ من خلق زكي، ومحبة لله تعالى مقدّمة على محبّة شهوات النفس ولذّاتها .

والإيثار تقديم الغير على النفس في حظوظ الدنيا رغبة في حظوظ الآخرة، يقال: آثرته بكذا أي خصصته به، والمعنى : ويقدمون المهاجرين على أنفسهم في حظوظ الدنيا ولو كان بهم خصاصة أي حاجة وفقر، وذلك ينشأ عن قوة اليقين وتوكيد المحبة والصبر على المشقة.[1]

قال ابن عاشور :"وهذا أعلى درجة مما أفاده قوله : {وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا} فلذلك عقب به ".[2]

وقد دلّت الآية على أنَّ هذا الإيثار ليس غنى عن المال ولكنه عن حاجةٍ وخصاصةٍ وهي الفقر، وأصلها من الخصاص وهي الفرج وكل خرقٍ في منخلٍ أو بابٍ أو سحابٍ أو برقعٍ فهي خصاص، الواحد خصاصة.[3]

قال ابن عاشور :"والتقدير : لو كان بهم خصاصة لآثروا على أنفسهم، فيُعلم أنَّ إيثارهم في الأحوال التي دون ذلك بالأحرى دون إفادة الامتناع".[4]

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (26/18)، والتعريفات للجرجاني (59/1)، وأضواء البيان للشنقيطي (42/8).

(2) التحرير والتنوير (93/15).

(3) انظر: العين للخليل (125/4)، والمحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (498/4)، غريب القرآن للسجستاني (212/1).

(4) التحرير والتنوير (93/15).

ولقد ضرب الأنصار أروع الأمثلة وأسماها في الإيثار حتى بلغ بأحدهم الأمر إلى أن يعرض الأنصاري على أخيه المهاجري أن يطلق زوجته ويزوجها إيَّاه .

فهاهو سعد بن الربيع الأنصاري لما آخى النبي –ρ– بينه وبين عبد الرحمن بن عوف–رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا– قال سعد لعبد الرحمن : إنِّي أكثر الأنصار مالاً فأقسم مالي نصفين ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها فإذا انقضت عدتها فتزوجها ...[1]

ومن أمتع صور الإيثار لدى أولئك الصفوة ما فعله ذلك الأنصاري مع ضيفه وعجب منه رب الأرض والسماوات :

فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة –τ– قال : جاء رجل إلى رسول الله –ρ– فقال: إني مجهود، فأرسل إلى بعض نسائه فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلاَّ ماء، ثم أرسل به إلى أخرى فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلّهنّ مثل ذلك : لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلاَّ ماء، فقال : ((من يضيفه هذا الليلة رحمه الله؟)) فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله، فقال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا إلاَّ قوت صبياني، قال : فعلّليهم بشيء، فإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج، وأريه أنَّا نأكل، فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السراج حتى تطفئيه، قال: فقعدوا وأكل الضيف، فلما أصبح غدا على النبي –ρ– فقال : ((قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة)) فأنزل الله –Y–:

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (1378/3)، رقم: (3569)، كتاب فضائل الصحابة، باب إخاء النبي –ρ– بين المهاجرين والأنصار، والنسائي في سننه (137/6)، رقم: (3388)، كتاب النكاح، باب الهدية لمن عرس، والترمذي في جامعه (328/4)، رقم: (1933)، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في مواساة الأخ.

{وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} .[1]

المطلب السادس: وصفهم بالفلاح

لما وصف الله –سبحانه– الأنصار بتلك الصفات النبيلة، وآخرها تلك الصفة العظيمة وهي سلامة صدورهم من الحسد والحزازة، ختم هذه الأوصاف بقوله: {وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} إشارة إلى دخول الأنصار في هذه الصفة دخولاً أولياً .

وكيف لا يدخلون ؟ وقد جسّدوا أروع الصور الدالّة على أنَّهم وقوا أنفسهم من شحّها بتلك الأمثلة الرائعة من الأخوة والإيثار؟ وهل هناك أدلّ على ذلك من أن يقاسم الأخ أخاه كلّ غالٍ ونفيسٍ؟ بل هل هناك أدلّ على سلامة نفوسهم من الشح من أن يحرم الرجل صبيته الصغار من عشائهم، ويتركهم ينامون جوعى ليؤثر بذلك الزاد القليل ضيفه؟ إنَّها صورٌ عجيبةٌ، ومشاهد بديعة .

قال الكلبي في التسهيل :"وفي هذا إشارة إلى أنَّ الأنصار وقاهم الله شحّ أنفسهم فمدحهم الله بذلك، وبأنَّهم يؤثرون على أنفسهم، وبأنَّهم لا يجدون في صدورهم حاجةً مما أوتي المهاجرون، وأنَّهم يحبّون المهاجرين".[2]

وقال ابن عاشور :"وتذييل الكلام بذكر فضل من يوقون شحّ أنفسهم بعد قوله:

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (1854/4)، رقم: (4607)، كتاب التفسير، باب والذين تبوءوا الدار والإيمان، ومسلم في صحيحه (1624/3)، رقم: (2054)، كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره.

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (109/4).

{وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} يشير إلى أن إيثارهم على أنفسهم حتى في حالة الخصاصة هو سلامة من شحّ الأنفس فكأنّه قيل لسلامتهم من شحّ الأنفس {وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}".[1]

والشُّحُّ-بضم الشين وكسرها-: غريزةٌ في النفس بمَنْع ما هو لها، وأضيف في هذه الآية إلى النفس؛ لذلك فهو غريزةٌ لا تسلم منها نفسٌ، ولكنّ النفوس تتفاوت في هذا المقدار فإذا غلب عليها بمنع المعروف والخير فذلك مذمومٌ ويتفاوت ذمّه بتفاوت ما يمنعه، وقد أحسن وصفه من قال:

يمارس نفساً بين جَنْبَيْه كَزَّةً إذا هَمَّ بالمعروف قالت له مهلاً[2]

فمن وُقي شحّ نفسه، أي وُقي من أن يكون الشح المذموم خُلقاً له؛ لأنَّه إذا وُقي هذا الخُلقَ سلِم من كل مواقع ذمه ، فإن وقي من بعضه كان له من الفلاح بمقدار ما وُقيه.[3]

قال ابن عطية :"وشحّ النفس : هو كثرة منعها وضبطها على المال، والرغبة فيه، وامتداد الأمل، هذا جماع شحّ النفس، وهو داعية كلّ خلق سوء ".[4]

روى ابن جرير بسنده عن أبي الهياج الأسدي قال :"كنت أطوف بالبيت، فرأيت رجلاً يقول: اللهمّ قني شحّ نفسي، لا يزيد على ذلك، فقلت له، فقال : إنِّي إذا

(1) التحرير والتنوير (94/13).

(2) انظر: أساس البلاغة للزمخشري (453/1)، ومحاضرات الأدباء للأصفهاني (634/1، 691)، ولا يعرف القائل، والنفس الكزة: هي الشحيحة.

(3) انظر: التحرير والتنوير (94/13).

(4) المحرر الوجيز (288/5).

وقيت شحّ نفسي لم أسرق، ولم أزن، ولم أفعل شيئًا، وإذا الرجل عبد الرحمن بن عوف".[1]

ومن العلماء من لم يفرّق بين الشحّ والبخل، ومنهم من فرّق بينهما:

فقال بعضهم : الشحّ أبلغ في المنع من البخل، وإنَّما الشحّ بمنزلة الجنس والبخل بمنزلة النوع، وأكثر ما يقال في البخل إنَّما هو في أفراد الأمور وخواص الأشياء، والشحّ عامٌّ، فهو كالوصف اللازم للإنسان من قِبَل الطَّبع والجِبِلَّة.

وقيل : البخل : أن يَضِنَّ بماله، والشحّ : أن يبخل بماله ومعروفه .

وقيل : البخل : نفس المنع، والشحّ : هو الحالة النفسانية التي تقتضي ذلك المنع.[2]

واسم الإشارة {أُولَئِكَ} لتعظيم هذا الصنف من الناس، وصيغة القصر المؤداة بضمير الفصل للمبالغة لكثرة الفلاح الذي يترتب على وقاية شح النفس حتى كأنَّ جنس المفلح مقصور على ذلك الموقَى.[3]

يقول سيد قطب :"وما يمكن أن يصنع الخير شحيح يهم دائماً أن يأخذ ولا يهم مرة أن يعطي، ومن يوق شح نفسه، فقد وقي هذا المعوّق عن الخير، فانطلق إليه معطياً باذلاً كريماً، وهذا هو الفلاح في حقيقة معناه".[4]

---

(1) تفسير الطبري (43/28).

(2) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (215/8)، تفسير الرازي (250/29)، اللباب لابن عادل (207/15).

(3) التحرير والتنوير (94/13).

(4) في ظلال القرآن (3527/6).

وقال السعدي :"ووقاية شحّ النفس، يشمل وقايتها الشحّ، في جميع ما أمر به، فإنَّه إذا وقي العبد شحّ نفسه، سمحت نفسه بأوامر الله ورسوله، ففعلها طائعاً منقاداً، منشرحاً بها صدره، وسمحت نفسه بترك ما نهى الله عنه، وإن كان محبوباً للنفس، تدعو إليه، وتتطلع إليه، وسمحت نفسه ببذل الأموال في سبيل الله وابتغاء مرضاته، وبذلك يحصل الفلاح والفوز، بخلاف من لم يوق شحّ نفسه، بل ابتلي بالشحّ بالخير، الذي هو أصل الشر ومادّته، فهذان الصنفان الفاضلان الزكيان هما الصحابة الكرام والأئمة الأعلام، الذين حازوا من السوابق والفضائل والمناقب ما سبقوا به من بعدهم، وأدركوا به من قبلهم، فصاروا أعيان المؤمنين، وسادات المسلمين، وقادات المتقين".[1]

(1) تفسير السعدي (850/1).

المبحث الثالث

أوصاف التابعين بإحسان

بعد أن ذكر الله-جلَّ وعلا- المهاجرين والأنصار وما اتصفوا به من أوصاف حميدة، وصفاتٍ عظيمةٍ، أثنى بها -I- عليهم، ذكر هنا التابعين لهم بإحسانٍ، وما اتصفوا به من سلامة صدورهم تجاه إخوانهم في الدين الذين سبقوهم بالإيمان، ودعائهم لهم، مقتدين بأولئك السابقين الأوَّلين من المهاجرين والأنصار في سلامة الصدر، ومحبة المؤمنين، وصدق الإيمان، ابتغاء رضوان الله فقال تعالى : {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [الحشر:10]؛ وصفهم الله-جلَّ شأنه- بقوله:{ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ } أي من بعد المهاجرين والأنصار، وهم التابعون لهم بإحسانٍ إلى يوم القيامة، اتبعوهم في الإيمان والعقيدة، وساروا على آثارهم الحسنة، وأوصافهم الجميلة، ودعوا لهم في السر والعلانية، وهو شاملٌ لكلّ من جاء بعد المهاجرين الأوَّلين والأنصار؛ لأنَّه يصدق عليهم ذلك الوصف، كما قال-تعالى-: {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة:100].[1]

قال سعد بن أبي وقاص -τ-: "الناس على ثلاث منازل: فمضت منهم اثنتان

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (33/18)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (363/4)، وفتح القدير للشوكاني (201/5).

وبقيت واحدة، فأحسن ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت، ثم قرأ: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ } الآية".[1]

وقال ابن أبي ليلى: "الناس على ثلاث منازل: الأولى: منازل المهاجرين، والثانية: هي الذين تبوءوا الدار والإيمان، والثالثة: والذين جاءوا من بعدهم، فاجتهد ألا تخرج من هذه المنازل".[2]

وقال بعضهم : "كن مهاجراً، فإن قلت: لا أجد فكن أنصارياً، فإن لم تجد فاعمل بأعمالهم، فإن لم تستطع فأحبهم واستغفر لهم كما أمر الله".[3]

ومن أوصاف هؤلاء التابعين أنَّهم يدعون لأنفسهم ولإخوانهم بأمرين:

الأوَّل : يسألون الله–Y– المغفرة لهم، ولإخوانهم الذين سبقوهم بالإيمان.

الثاني : يدعون الله–سبحانه– بأن يجعل صدورهم خالية من الغلّ والحسد، ونفوسَهم مسلولة سخائمها .

المطلب الأوَّل: سؤالهم الله المغفرة لهم ولإخوانهم المؤمنين

لقد كان أولئك الصفوة يسألون الله –Y– المغفرة لهم قائلين باستمرار: {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا}، ثم ثنّوا بإخوانهم الذين كانوا سبباً في إسلامهم، حيث كانوا هم نقلة هذا الدين والمبلّغين له لمن بعدهم؛ ولذلك دعوا لهم فقالوا : {وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (526/2)، رقم: (3800)، وصححه، وذكره السيوطي في الدر المنثور (113/8)، وزاد نسبته إلى ابن مردويه.

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (1878/6)، رقم: (10303).

(3) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (31/18).

بِالإِيمَانِ } وصفوهم بذلك اعترافاً بفضلهم، وهي أخوّة الدين، وأَعْظِم بها من أخوَّة، فاستغفروا لأنفسهم، ولمن تقدَّمهم من إخوانهم .

وما ذلك إلاَّ لاستشعارهم الأخوّة الحقيقية التي تتطلّب صفاء النفس ونقاءها من كلّ مسلمٍ تجاه أخيه .

قال أبو السعود: "وجملة {يَقُولُونَ} مسوقة لمدحهم بمحبّتهم لمن تقدَّمهم من المؤمنين، ومراعاتهم لحقوق الأخوَّة في الدين، والسبق بالإيمان".[1]

المطلب الثاني: سؤالُهم اللهَ سلامةَ صدورهم تجاه إخوانهم المؤمنين

حيث طلب هؤلاء التابعون بإحسان أن ينزِع الله من قلوبهم الغلّ والحسد لإخوانهم المؤمنين على الإطلاق، بدءاً من الصحابة الذين هم أشرف هذه الأمَّة، وهكذا إلى أن تقوم الساعة والمؤمنون يدعون لأنفسهم وإخوانهم قائلين: {وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلا لِلَّذِينَ آمَنُوا }.

والغِلُّ –بكسر الغين–: الحسد والبغض ، أي سألوا الله أن يطَهر نفوسهم من الغلّ والحسد للمؤمنين السابقين على ما أعطُوه من فضيلة صحبة النبي –ρ– وما فُضّل به بعضهم من الهجرة، وبعضهم من النصرة، فبيّن الله للذين جاءوا من بعدهم ما يكسبهم فضيلةً ليست للمهاجرين والأنصار، وهي فضيلة الدعاء لهم بالمغفرة، وانطواء ضمائرهم على محبتهم، وانتفاء البغض لهم، والمراد أنَّهم يضمرون ما يدعون الله به لهم في نفوسهم، ويروضوا أنفسهم عليه.[2]

---

(1) تفسير أبي السعود (230/8).

(2) التحرير والتنوير (97/13).

{رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} أي ذو رأفة بعبادك ورحمة بالمؤمنين بك فاستجب دعاءنا فاغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً لهم.(1)

وهذا دعاء شامل لجميع المؤمنين، السابقين من الصحابة، ومن قبلهم ومن بعدهم، وهذا من فضائل الإيمان أنَّ المؤمنين ينتفع بعضهم ببعض، ويدعو بعضهم لبعض، بسبب المشاركة في الإيمان المقتضي لعقد الأخوة بين المؤمنين التي من فروعها أن يدعو بعضهم لبعض، وأن يحب بعضهم بعضاً، ولهذا ذكر الله في الدعاء نفي الغلّ عن القلب، الشامل لقليل الغلّ وكثيره، الذي إذا انتفى ثبت ضدّه، وهو المحبّة بين المؤمنين والموالاة والنصح، ونحو ذلك مما هو من حقوق المؤمنين.

فوصف الله من بعد الصحابة بالإيمان؛ لأنَّ قولهم: {سَبَقُونَا بِالإيمَانِ } دليل على المشاركة في الإيمان، وأنَّهم تابعون للصحابة في عقائد الإيمان وأصوله، وهم أهل السنة والجماعة، الذين لا يصدق هذا الوصف التام إلاَّ عليهم، ووصفهم بالإقرار بالذنوب والاستغفار منها، واستغفار بعضهم لبعض، واجتهادهم في إزالة الغلّ والحقد عن قلوبهم لإخوانهم المؤمنين؛ لأنَّ دعاءهم بذلك مستلزم لما ذكرنا، ومتضمّن لمحبّة بعضهم بعضاً، وأن يحبّ أحدهم لأخيه ما يحبّ لنفسه، وأن ينصح له حاضراً وغائباً، حياً وميتاً، ودلّت الآية الكريمة على أنَّ هذا من جملة حقوق المؤمنين بعضهم لبعض، ثم ختموا دعاءهم باسمين كريمين، دالّين على كمال رحمة الله وشدّة رأفته وإحسانه بهم، الذي من جملته، بل من أجلّه، توفيقهم للقيام بحقوق الله وحقوق عباده . فهؤلاء الأصناف الثلاثة هم أصناف هذه الأمّة، وهم المستحقون للفيء

(1) أيسر التفاسير للجزائري (310/5).

الذي مصرفه راجع إلى مصالح الإسلام، وهؤلاء أهله الذين هم أهله، جعلنا الله منهم، بمنه وكرمه.(1)

المطلب الثالث: وجوب حب المؤمنين وتحريم سبهم وبغضهم وعلى رأسهم الصحابة الكرام من المهاجرين والأنصار

دلَّت الآية على أنَّ حقّاً على المسلمين أن يذكروا سلفهم بخير، وأنَّ حقّاً عليهم محبّة المهاجرين والأنصار وتعظيمهم، وفيها دلالةٌ واضحةٌ على ذمِّ الغلّ لأحدٍ من المؤمنين .

وفي حديث أخرجه الحكيم الترمذي والنسائي عن أنس بن مالك-τ- أنَّ النبي -ρ- قال في ثلاثة أيامٍ : ((يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة))، فطلع فيها رجل من الأنصار فبات معه عبد الله بن عمرو بن العاص-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- ثلاث ليالٍ مستكشفاً حاله، فلم ير له كثير عملٍ، فأخبره الخبر فقال: ما هو إلاَّ ما رأيت، غير أنِّي لا أجد في نفسي غلاًّ لأحدٍ من المسلمين، ولا أحسده على خيرٍ أعطاه الله تعالى إيَّاه، فقال له عبد الله: هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق.(2)

وهكذا تتجلّى لنا من هذه الآية الآصرة القوية الوثيقة التي تربط أوَّل هذه الأمة بآخرها، وآخرها بأوَّلها ، في تضامنٍ وتكافلٍ وتوادٍّ وتعاطفٍ وشعورٍ بوشيجة القربى

(1) انظر: تفسير السعدي (851/1).

(2) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (215/6)، رقم: (10699)، والمقدسي في الأحاديث المختارة (186/7)، رقم: (2619)، وعبد الرزاق في المصنف (287/11)، رقم: (20559)، وعبد بن حميد في مسنده (350/1)، رقم: (1159).

العميقة التي تتخطّى الزمان والمكان والجنس والنسب وتتفرّد وحدها في القلوب ، تحرّك المشاعر خلال القرون الطويلة فيذكر المؤمن أخاه المؤمن بعد القرون المتطاولة كما يذكر أخاه الحيّ أو أشدّ في إعزازٍ وكرامةٍ وحبٍّ ، ويحسب السلف حساب الخلف ، ويمضي الخلف على آثار السلف صفّاً واحداً وكتيبةً واحدةً على مدار الزمان واختلاف الأوطان تحت راية الله تغذُّ السير صُعداً إلى الأفق الكريم متطلّعةً إلى ربّها الواحد الرءوف الرحيم.

إنَّها صورةٌ باهرةٌ، تمثل حقيقةً قائمةً، كما تمثل أرفع وأكرم مثالٍ للبشرية يتصوره قلبٌ كريمٌ .[1]

وإذا كان البغض والغلّ منهيا عنه المسلم تجاه إخوانه المسلمين عموماً فهو أشدّ نهياً عندما يكون على خيار الأمَّة وأفضلها بعد نبيّها .

قال الإمام مالك :"من كان يبغض أحداً من أصحاب محمد –ρ– أو كان قلبه عليه غلّ فليس له حقّ في فيْء المسلمين، ثم قرأ : {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ } الآية ".[2]

قال ابن عاشور :"فلعلّه أخذ بمفهوم الحال من قوله تعالى : { يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ } الآية ، فإنَّ المقصد من الثناء عليهم بذلك أن يضمروا مضمونه في نفوسهم، فإذا أضمروا خلافه وأعلنوا بما ينافي ذلك فقد تخلف فيهم هذا الوصف، فإنَّ الفيء عطية أعطاها الله تلك الأصناف ولم يكتسبوها بحق قتال، فاشترط الله عليهم في استحقاقها أن يكونوا محبين لسلفهم غير

(1) في ظلال القرآن لسيد قطب (3527/6).

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (31/18).

حاسدين لهم".[1]

ومن هنا نعلم الضلال المبين الذي وقع فيه الرافضة من سبِّهم للصحابة الكرام- رضوان الله عليهم أجمعين-، بل وتكفيرهم لهم، وما ذلك إلاَّ برهانٌ واضحٌ على فسادِ معتقدِهم وبُطلانِه، حيث عادوا نقلة هذا الدين، فما ذا بقي بعد ذلك؟!

وقد قال النبي-ρ-: ((لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي...)) الحديث[2].

وأحاديث أخرى في هذا الباب.

وورد عن ابن عمر-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أنَّه سمع رجلاً وهو يتناول بعض المهاجرين فقرأ عليه {لِلْفُقَرَاءِ المُهَاجِرِينَ} الآية، ثم قال: هؤلاء المهاجرون فمنهم أنت؟ قال: لا، ثم قرأ عليه: {والَّذِينَ تَبَوَّءُا الدَّارَ وَالإِيمَانَ} الآية، ثم قال: هؤلاء الأنصار أفأنت منهم؟ قال: لا، ثم قرأ عليه: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ} الآية، ثم قال: أفمن هؤلاء أنت؟ قال: أرجو، فقال ابن عمر: لا ليس من هؤلاء من يسبّ هؤلاء[3].

قال الإمام الشعبي -رحمه الله-: "تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة، سئلت اليهود من خير أهل ملّتكم؟ فقالوا: أصحاب موسى، وسئلت النصارى من خير أهل ملّتكم؟ فقالوا: أصحاب عيسى، وسئلت الرافضة من شرّ أهل ملّتكم؟

---

(1) التحرير والتنوير (97/13).

(2) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه (72/5) كتاب فضائل الصحابة، باب منه، ومسلم في صحيحه (1967/4) كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سبّ الصحابةψ.

(3) ذكره السيوطي في الدر المنثور (113/8)، وذكر القرطبي نحوه عن عي بن الحسين زين العابدين في الجامع لأحكام القرآن (33/18).

فقالوا: أصحاب محمد، أمروا بالاستغفار لهم فسبّوهم، فالسيف عليهم مسلولٌ إلى يوم القيامة، لا تقوم لهم راية، ولا تثبت لهم قدم، ولا تجتمع لهم كلمة، كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله بسفك دمائهم وإدحاض حجّتهم، أعاذنا الله وإياكم من الأهواء المضلّة"[1].

قال ابن كثير عند تفسير قوله –تعالى–: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً}: [الأحزاب : 58] : "ومَنْ أكثر مَنْ يدخل في هذا الوعيد الكفرةُ بالله ورسوله ، ثم الرافضة الذين يتنقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد بَرَّأهم الله منه، ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم؛ فإن الله –Y– قد أخبر أنَّه قد رضي عن المهاجرين والأنصار ومدحهم، وهؤلاء الجهلة الأغبياء يسبونهم ويتنقصونهم، ويذكرون عنهم ما لم يكن ولا فعلوه أبدا".[2]

وقد اتفق أهل السنة والجماعة على حرمة سبّ الصحابة –رضوان الله عليهم–، وعلى عظيم إثم من سبَّهم أو انتقصهم.

ولكنهم اختلفوا في حكم من سبَّهم هل يكفر ويحلّ قتله؟ أو يفسق ويكفي في حقَّه التعزير والتأديب على قولين.

على أنَّ من قال بعدم تكفير من سبَّ الصحابة ليس على إطلاقه؛ فمن سبَّ الصحابة بنسبتهم إلى الارتداد والكفر، أو سبَّ أمَّ المؤمنين عائشة –رضي الله عنها

(1) ذكره البغوي في تفسيره (321/4)، والقرطبي كذلك في الجامع لأحكام القرآن (33/18).
(2) تفسير القرآن العظيم (517/2).

بقذفها- ونسبتها إلى الفاحشة، فهذا لا خلاف في كفره بإجماع أهل السنة والجماعة. (1)

(1) للتوسع في هذا الموضوع انظر: الصارم المسلول لابن تيمية ص:565، وموقف الشيعة الاثني عشرية من صحابة رسول الله ρ للدكتور عبد القادر صوفي (1/136-145).

الخاتمة

وهكذا انتهى–بعون الله– هذا البحث ، بعد أن أمضيت فترة من الزمن بين مباحثه ، منتقلاً من صفةٍ عظيمةٍ إلى أخرى مثلها أو أعظم منها ، لأولئك القوم الذين تشرف هذا البحث بتخصيصه عنهم ، ألا وهم ((المهاجرون والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان)).

وحتى تكتمل الفائدة من هذا البحث عقدت له هذه الخاتمة مبيِّناً فيها النتائج التي توصلت إليها ، ثم التوصيات التي يمكن أن يُوصَى بها في هذا المقام.

– أوَّلاً: النتائج:

1- وفَّق الله –Y– المهاجرين والأنصار لخدمة دينه ، ونصرة نبيَّه ، وسخَّرهم لتحقيق هذا الهدف الأسمى ، حتى قدَّموا أعزَّ ما يملكون ، وضحّوا بكلّ غالٍ ونفيسٍ ، وتكبّدوا الشدائد والأهوال ، نصرةً للإسلام ، وإعلاءً لراية التوحيد .

2- وحّد الإسلام بين المهاجرين والأنصار ، حيث آخى النبي–ρ– بينهم ، فالتحمت صفوفهم ، وتآلفت قلوبهم ، حتى أصبح أحدهم يؤثر أخاه على نفسه بأعزّ ما يملك، وقد كان لهذا أثره العظيم في قوة شوكة الإسلام ومنعته ، وهيبة أعدائه له .

3- أشاد القرآن الكريم في مواضع كثيرة بالمهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان ، وما ذلك إلاَّ دليلٌ على شرفهم وعلو مكانتهم ، ورفعة شأنهم .

4- وصف الله –جل وعلا– المهاجرين –في سورة الحشر– بستة أوصاف فيها دلالة واضحة على فضلهم الكبير ن ومكانتهم السامقة ، وإشارة قوية إلى جهودهم العظيمة في نصرة هذا الدين ، حيث وصفوا بأنَّهم فقراء: تركوا

أموالهم ، ومهاجرون: هاجروا من مكة إلى المدينة ، وأخرجوا من ديارهم وأوطانهم بسبب دينهم وإسلامهم بعد أن اضطرهم كفار مكة إلى الخروج ، وترك ديارهم العزيزة ، وما خرجوا إلاَّ نصرة لهذا الدين ، وابتغاءً لفضل الله ورضوانه ، ونصرةً لله ورسوله، فهم صادقون في إيمانهم وأقوالهم وأفعلهم ، ولذلك كوفئوا في الآخرة بأنَّهم أوَّل من يدخل الجنّة ، وأوَّل من يجتاز الصراط ، إضافة إلى ازدحامهم على حوض النبي –ρ– ليشربوا منه شربة لا يظمئون بعدها أبداً .

5- وأمَّا لأنصار : فيكفيهم شرفاً أنَّ نصرة الله ورسوله صارت وصفاً ملازماً لهم ، ومع ذلك فقد وصفهم الله –سبحانه– بخمس خصالٍ تدلّ على شأنهم الرفيع ، وأخلاقهم العجيبة ، فهم قد تبوءوا الدار وهي المدينة النبوية ، وأخلصوا الإيمان بالله ورسوله ، وهم من كرمهم يحبون المهاجرين إليهم ، ويواسونهم بأموالهم ، تطبيقاً لأخوَّة الإسلام، ومن أعظم ما تميز به الأنصار سلامة صدورهم تجاه إخوانهم مهما فضل إخوانهم بمال أو غيره ، بل إنَّهم يؤثرون إخوانهم على أنفسهم حتى مع الضرورة والفقر والحاجة الماسَّة ، ولذلك كانوا من المفلحين ، واستحقوا ذلك الوسام الذي منحه لهم رسول الله –ρ– عند ما دعا لهم ولأبنائهم ولأبناء أبنائهم ، وجعل علامة الإيمان وعلامة حب الله للعبد أن يحب الأنصار ، وفضّل مسلكه بقوله–عليه الصلاة والسلام–: (لو سلك الناس وادياً أو شعباً ، وسلكت الأنصار وادياً أو شعباً ، لسلكت وادي الأنصار ، أو شعب الأنصار) .

6- وأمَّا الفريق الثالث : فهم التابعون للمهاجرين والأنصار بإحسان ، اتبعوهم في الإيمان والعقيدة ، وساروا على آثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة إلى أن

تقوم الساعة، ومن أوصاف هؤلاء الأخيار : أنَّهم يسألون الله المغفرة لهم ولإخوانهم الذين سبقوهم بالإيمان ، كما يدعون الله –سبحانه– بأن يجعل صدورهم خالية من الغلّ والحسد ، كما كان أسلافهم لا يجدون في صدورهم حاجة ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة .

اللهم أرض المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان ، وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين .

– ثانيا : التوصيات :

يوصي الباحث بما يلي:

1– جمع الآيات والأحاديث التي وردت في المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان ، ودراستها.

2– بيان ما تميز به المهاجرون من الصدق والتضحية بالمال والوطن في سبيل نصرة هذا الدين، وإبراز أخلاق الأنصار ، وما امتازوا به من النصرة ، وسلامة الصدر، والأخوة والإيثار ، وتقديم هذه المناقب للأمة حتى تتأسى بهم ، وتقتدي بأخلاقهم .

3– إظهار ما تميز به التابعون بإحسان، من الاتباع الحسن لسلفهم من المهاجرين والأنصار، وسلامة صدورهم ودعائهم لهم، وتوضيح معنى الاتباع الحسن، والتحذير من ضده وهو الابتداع .

4– استثمار وسائل الإعلام المكتوبة والمرئية والمسموعة في إيصال مآثر أولئك الصفوة إلى المسلمين حتى ينهضوا من سباتهم، وإلى غير المسلمين حتى يعرفوا الصورة المشرقة للإسلام ، ويطلعوا على تلك المواقف المشرفة لرسول الله –ρ– وصحبه الكرام من المهاجرين والأنصار.

5- تحضير المسلمين إلى نصرة الدين من خلال عرض ما قام به أولئك الصفوة من مواقف رائعة في هذا المجال ، وعقد المقارنة بين عمل أولئك وعمل المسلمين الهزيل في هذه الأيام .

6- الاهتمام بالناشئة وتقديم مناقب المهاجرين والأنصار لهم بأسلوب ميسَّرٍ يكون له وقعه في نفوسهم وأثره في سلوكهم .

7- التحذير من الفرق الضالة التي نالت من أولئك الصحب الكرام -رضوان الله عليهم- وبيان ضلالهم في هذا الباب .

المراجع

1- الأحاديث المختارة: أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد الحنبلي المقدسي، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط: الأولى، 1410هـ، تحقيق: عبد الملك بن دهيش.

2- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: علاء الدين بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة.

3- أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت:538هـ)، دار الفكر، 1399هـ.

4- الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:852هـ)، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، 1415هـ.

5- أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (ت: 393)، دار الفكر للطباعة، بيروت، 1415هـ، تحقيق مكتب البحوث والدراسات.

6- أيسر التفاسير لكلام العلي القدير: أبو بكر جابر الجزائري، ط: الثانية، 1410هـ.

7- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (748هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ، تحقيق: د.عمر عبد السلام تدمري.

8- التحرير والتنوير: محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية، 1984م.

9- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف: عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت:656هـ) دار الكتب العلمية، ط: الأولى، بيروت، 1417هـ، تحقيق: إبراهيم شمس الدين.

10- التعريفات: علي بن محمد الجرجاني (ت:816هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الأولى، 1405هـ، تحقيق: إبراهيم الأبياري.

11- تفسير ابن أبي حاتم المسمى: تفسير القرآن العظيم مسندا عن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي (ت: 327هـ)، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، تحقيق: أسعد محمد الطيب.

12- تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم: أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت: 951هـ)، دار إحياء التراث، بيروت.

13- تفسير الإمام الذهبي (ت: 748هـ)، مكتبة العبيكان، الرياض، ط: الأولى، 1424هـ، د. سعود الفنيسان.

14- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: محمد الأمين بن عبد الله الهروي، دار طوق النجاة، بيروت، ط: الأولى، 1421هـ.

15- تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت: 774هـ)، دار الفكر، بيروت، 1401هـ.

16- تفسير السعدي المسمى: تيسير الكريم الرحمن بتفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت: 1376هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1421هـ.

17- تفسير القرآن: أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني (ت: 562هـ)، دار الوطن، الرياض، ط: الأولى، 1418هـ، تحقيق: ياسؤ إبراهيم، وغنيم عباس.

18- التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب: فخر الدين محمد بن عمر الرازي الشافعي (ت: 604هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ، الطبعة الأولى.

19- تقريب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:773هـ)، دار العاصمة، الرياض، ط: الأولى، 1416هـ، تحقيق: أبو الأشبال الباكستاني.

20- التسهيل لعلوم التنزيل: محمد بن أحمد الكلبي، دار الكتاب العربي، لبنان، ط: الرابعة، 1403هـ.

21- تهذيب الأسماء واللغات: محيي الدين النووي (ت:676هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

22- الجامع الصحيح (سنن الترمذي): محمد بن عيسى السلمي (ت:279هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

23- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: 310هـ)، دار الفكر، بيروت، 1405هـ,.

24- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت: 671)، دار الشعب، القاهرة.

25- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي (ت: 911)، دار الفكر، بيروت، 1993هـ.

26- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي (ت: 1270هـ)، دار إحياء التراث، بيروت.

27- زاد المسير في علم التفسير: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، 1404هـ، الطبعة الثالثة.

28- زاد المعاد في هدي خير العباد: ابن القيم الجوزية (ت:751هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الرابعة عشرة، 1407هـ، تحقيق شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط.

29- سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني (ت: 275)، دار الفكر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد.

30- سنن الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت: 255هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الأولى، 1407هـ، تحقيق: فواز ازمرلي، خالد السبع.

31- السنن الكبرى: أحمد بن شعيب النسائي (ت:302هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، 1411هـ، تحقيق: د.عبد الغفار البنداري، سيد كسروي حسن.

32- سنن النسائي (المجتبى): أحمد بن شعيب النسائي (ت:302هـ)، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط: الثانية، 1406هـ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة.

33- سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (748هـ)، مؤسسة الرسالة بيروت، ط: التاسعة، 1413هـ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي.

34- السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة: محمد محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق، ط: الثامنة، 1427هـ.

35- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن أحمد الحنبلي (ت:1089هـ)، دار ابن كثير، دمشق، ط: الأولى، 1406هـ، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط.

36- شعب الإيمان: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت: 458)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.

37- الصارم المسلول على شاتم الرسول: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار ابن حزم ، بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ، تحقيق : محمد عبد الله عمر الحلواني , محمد كبير أحمد شودري.

38- صحيح البخاري (الجامع الصحيح): محمد بن إسماعيل البخاري (ت: 256)، دار ابن كثير، بيروت، 1407هـ، الطبعة الثالثة، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

39- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري (ت: 261)، دار إحياء التراث، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

40- العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت:170هـ)، دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي.

41- غريب القرآن: أبو بكر السجستاني (ت:330هـ)، دار قتيبة، 1416هـ، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد.

42- فتح القدير الجامع بين فني والدراية في التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت: 1250هـ)، دار الفكر، بيروت.

43- الفقه الإسلامي وأدلّته: وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، 1405هـ.

44- في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، الطبعة العاشرة، 1402هـ.

45- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت: 538)، دار إحياء التراث، بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

46- اللباب في علوم الكتاب: عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي (ت: 880هـ)، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ.

47- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور (ت: 711هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

48- المال في القرآن الكريم دراسة موضوعية: سليمان بن إبراهيم الحصيّن، دار المعراج الدولية، الرياض، الطبعة الأولى، 1415هـ.

49- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي (ت: 807هـ)، دار الريان للتراث، القاهرة، 1407هـ.

50- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: أبو القاسم الحسين بن محمد الأصبهاني (ت: 502هـ) دار القلم، بيروت، 1420هـ، تحقيق: عمر الطباع.

51- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت: 546)، دار الكتب العلمية، لبنان، 1413هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.

52- المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت:458هـ)، دار الكتب العلمية،بيروت، ط: الأولى، 2000م، تحقيق: عبد الحميد هنداوي.

53- المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت: 405هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

54- المسند: أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (ت: 241)ن مؤسسة قرطبة، مصر.

55- مسند أبي يعلى: أحمد بن علي الموصلي (ت:307هـ) دار المأمون، دمشق، ط: الأولى، 1404هـ، تحقيق: حسن أسد.

56- المصباح المنير: أحمد بن محمد الفيومي (ت770هـ)، المكتبة العلمية، بيروت.

57- المصنف: عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت:211هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: الثانية، 1403هـ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.

58- المعجم الأوسط: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت360هـ)، دار الحرمين، القاهرة، 1415هـ، تحقيق: طارق عوض الله، عبد المحسن الحسيني.

59- المغني: موفَّق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت620هـ)، تحقيق عبد الله التركي، وعبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1406هـ.

60- موقف الشيعة الاثني عشرية من صحابة رسول اللهρ وψ: عبد القادر صوفي، درا أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، 1426هـ.

61- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت: 885 هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1413هـ.

62- الهجرة في القرآن الكريم: أحزمي سامعون جزولي، مكتبة الرشد، الرياض، ط: الأولى، 1417هـ.

فهر الموضوعات

المقدّمة:.....121
التمهيد: ويشتمل على:
.....126
أوّلاً: التعريف بالمهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان.....126
ثانيا: المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان في القرآن الكريم.....130
– المبحث الأوّل: صفات المهاجرين.....134
المطلب الأوّل : أنَّهم فقراء: 134
المطلب الثاني: أنَّهم مهاجرون. 137
المطلب الثالث : أنَّهم أخرجوا من ديارهم وأموالهم.....138
المطلب الرابع : أنَّهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً..... 139
المطلب الخامس: أنَّهم ينصرون الله ورسوله.....140
المطلب السادس: أنَّهم صادقون.....141
–المبحث الثاني : أوصاف الأنصار.....144
المطلب الأوّل : أنَّهم تبوءوا الدار 146
المطلب الثاني : أنَّهم تبوءوا الإيمان.....147
المطلب الثالث: أنَّهم يحبون من هاجر إليهم.....148
المطلب الرابع : أنَّهم لا يجدون في صدروهم حاجة مما أوتوا.....150
المطلب الخامس: أنَّهم يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.....153
المطلب السادس: صفة الفلاح ودخول الأنصار فيها.....155

- المبحث الثالث : أوصاف التابعين بإحسان.....159
المطلب الأوَّل: سؤالُهم اللهَ المغفرةَ لهم ولإخوانهم المؤمنين.....160
المطلب الثاني: سؤالُهم اللهَ سلامةَ صدورهم تجاه إخوانهم المؤمنين.....161
المطلب الثالث: وجوب حبّ المؤمنين وتحريم سبّهم وبغضهم وعلى رأسهم الصحابة الكرام من المهاجرين والأنصار.....162
- الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات..... 168
- فهرس المراجع.....172
- فهرس الموضوعات.....181